مقر قضايا ثقافية معاصرة

د. محمود أحمد صالح

المُحاضَرَةُ التَّمهِيدِيَّة

- **مقدمة في معنى القضايا الثقافية المعاصرة**
- **أهمية ومسوغات المقرر**
- **محتوى المقرر**
- **أهداف المقرر**
- **طرائق التدريس والأنشطة المصاحبة**
- **مصادر ومراجع**

مُقَدِّمَةٌ فِي مَعنَى القَضايا الثَّقافِيَّةِ المُعاصِرَةِ:

تعريف الثقافة:

هي: جَميعُ السِّماتِ الرُّوحيَّةِ وَالمادِّيَّةِ والفِكرِيَّة والعاطِفِيَّة التي تُمَيِّزُ مجتمعاً بعَينِهِ، أو فئةً اجتماعيَّةً بعَينِها.

وتشمل: الفنونَ والآدابَ وطرائقَ الحَياةِ.

كما تشمل: الحقوقَ الأساسيَّةَ للإنسان ونُظُمَ القِيَمِ والتَّقاليدِ والمُعتَقَدات.

هذا هو التعريف العالمي للثقافة.

والتعريفات الأخرى لا تبتعد عن إطاره مثل ما جاء في منظمة الإلسكو وهي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكذلك ما جاء عن الإسسكو وهي المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

تابعٌ:والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية، والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، فعن طريقها نهتدي إلى القيم ونمارسها.

إن الثقافة تتمثل فيما يتعلق بالإنسان من حيث هو إنسان، فكل ما يتعلق بالإنسان من حيث إنسانيَّتُهُ فهو ثقافة.

ويمكننا من خلال التعريف السابق أن نضع الملحوظات الآتية:

((١)) إن قضايا الثقافة قضايا تهم الإنسان بصفته الإنسانية؛ لذلك قلنا: العقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات ولم نقل: الطب أو الكيمياء أو الهندسة لأنها أشياء مادية أما الأخلاق ومثيلاتها فهي جانب إنساني روحي؛ أي: قضايا ذات بعد إنساني.

((٢)) هذه العناصر متداخلة وليست عناصر مفصولة عن بعضها البعض بل هي بناء متكامل؛ أي: كلٌّ مركبٌ وهناك معتقدات تقوم علها قيم.

((٣)) إن هذه الثقافة ليست معارف نظرية؛ أي: ليست فلسفة أو فكراً مجرداً في عقل إنسان أو فيلسوف أو سطراً كتاب بل الثقافة حياة جماعية وواقع فكري وسلوكي يتحرك به الناس؛ أي: علم وعمل مترابطان.
((٤)) إن الثقافة ليست تميزاً فردياً بل هي جماعية؛ بمعنى أن الشخص يعيش الثقافة في ظل مجتمع أو أمة تعيش هذه الثقافة، ومن الصعب أن يعيش الإنسان بعيداً عن ثقافته، لذلك يعاني المغترب ونجده يبحث عن أقلية أو أسرة تتفق معه في الثقافة.

((٥)) إن الثقافة بمجموعها تمثل تميزاً للمجتمع أو الأمة عن المجتمعات والأمم الأخرى؛ أي: إن الأمم تختلف وتتمايز عن بعضها في الثقافات وليس بالجوانب المادية ولا استعمال السيارات ولا الطب التشريحي ولكن بين المسلم والغربي والهندوسي التمايز بالثقافة والعقائد والنظم والأعراف.

عَناصِرُ الثَّقافَةِ:
للثقافة ثلاثة عناصر أساسية هي التي تشكل ثقافة الأمم مهما اختلفت؛ فأي ثقافة في العالم لا بد أن تحوي هذه الثلاثة العناصر بدائيةً أو متحضرةً، كتابيةً أو ليست كتابيةً؛ بمعنى أن الاختلاف ليس على وجود هذه العناصر إنما الاختلاف في نوعية هذه الثقافة من مجتمع إلى آخر.
والعناصر هي: ((١)) تفسير الوجود. ((٢)) القِيَم. ((٣)) النُّظُم.
عَناصِرُ الثَّقافَةِ/ الأوَّلُ: تَفسِيرُ الوُجُودِ
هي تلك الإجابة التي يشعر الإنسان – أيُّ إنسان – أنها مطلبٌ لديه؛ وهي عموماً إجابات الأسئلة الوجودية: من أنا؟ كيف جئت؟ ما هدف وجودي؟ ما هو مصيري؟ ماذا بعد الحياة؟ كيف جاء هذا الكون وما علاقتي به؟ هل هذا الكون لَهُ إِلَهٌ؟ وكم إِلَهٌ لَهُ؟ إلخ
ولا يهدأ الإنسان ولا يقرُّ له قرارٌ حتى يجدَ إجاباتٍ بغضِّ النَّظرِ عن صحَّتِها؛ سواءٌ كانت الإجابات ربَّانيَّة أو خرافيَّة أو أسطوريَّة أو فلسفيَّة؛ فإن كانت صحيحةً هدأت نفسه واطمأنَّت، وإلا فلا.

عَناصِرُ الثَّقافَةِ/ الثَّاني: القِيَمُ
هي المعايير التي يتعامل معها الإنسان في الحياة مثل العدل، الصدق، الوفاء.
وهي تلك المثل التي تتميز بها الحياة الإنسانية عن الحياة الحيوانية.
أو هي القواعد التي يقيم الناس عليها حياتهم ليرتفعوا بها عن الحياة الحيوانية.
وهي على أنواع:
((١)) قيم فكرية (قيم الحق): معايير تحكم حركة الإنسان الفكرية.
((٢)) قيم الخير: القيم الأخلاقية: الصدق، الوفاء، البر، الحياء.
((٣)) قيم الجمال: قيم الذوق ورؤية الجماليات.

عَناصِرُ الثَّقافَةِ/ الثَّالِثُ: النُّظُمُ التَّشرِيعِيَّةُ في جَوانِبِ الحَياةِ

القوانين أو التعاليم والأعراف والتقاليد أو الشعائر التي يمارسها الإنسان في حياته سواء اللصيقة بالإنسان (العبادة، الأخلاق) أو ما دونها (النظم التعليمية، الإعلامية، الإدارية) وتشمل كذلك التشريعات التاريخية التي توارثتها الأجيال وأصبحت قانوناً ملزماً سواء كانت مدروسة أو غير مدروسة مثل نظم العشائر والبدو وهي نظم لا يستطيع الإنسان أن ينفك عنها.

من خلال هذه العناصر تتشكل شخصية الإنسان وتبنى ثقافته.

مَعنَى القَضايا الثَّقافِيَّةِ المُعاصِرَةِ:

هي الموضوعات أو المسائل أو المشكلات التي تثيرها بعض جوانب الثقافة أو عناصرها؛ إما ما يتعلق منها بالوجود أو بالقيم أو بالنظم، ونتناولها في صيغة قضايا تواجهنا في واقعنا المعاصر الذي نعيشه، ونحتاج تجاهها إلى موقف نحدِّدُ به وجهتنا.

مُسَوِّغاتُ المُقَرَّرِ:

حاجة الطالب إلى دراسة بعض القضايا الثقافية المعاصرة وتجلية حقيقتها وموقف الإسلام منها؛ باعتبارنا مسلمين ومعاصرين نحتاج إلى معرفة الموقف الإسلامي الصحيح من مثل هذه القضايا التي تمس حياتنا وتوجه أفكارنا ولها أثر على سلوكنا فرادى وجماعات.

مُحتَوى المُقَرَّرِ:

يحتوى المقرر على ((١٥)) خمسَ عشرةَ محاضرةً موزعة على ((١٥)) خمسةَ عشرَ أسبوعاً.

((١)) محاضرة تمهيدية. ((٢)) الوسطية١. ((٣)) الوسطية٢. ((٤)) عالمية الإسلام والروابط البشرية. ((٥)) الحوار. ((٦)) الدين والعلم. ((٧)) التجديد. ((٨)) الاستشراق. ((٩)) التغريب. ((١٠)) العولمة الثقافية. ((١١)) الإرهاب. ((١٢)) الاستعمار. ((١٣)) التنصير. ((١٤)) اللغة العربية وعاء التعليم والثقافة. ((١٥)) تأخر المسلمين والنهوض بهم.

أَهدَافُ المُقَرَّرِ:

يتوقع في نهاية تدريس المقرر أن يكون الطالب قادراً على أن:

- **يعرف أهم القضايا الثقافية المعاصرة التي تمس الفرد والمجتمع.**
- **يبيِّن موقف الإسلام من القضايا الثقافية المعروضة.**
- **يوضِّح المنهج السليم للإسلام.**

طَرائِقُ التَّدرِيسِ وَالأَنشِطَة المُصاحِبَة:

((١)) استخدام طريقة الإلقاء والمحاورة عند عرض المادة العلمية.

((٢)) فتح المناقشة في القضايا المطروحة عن طريق مشاركة الطلبة في إنضاج الموضوعات في منتدى النقاش الخاص بالمقرر على [البلاكبورد].

((٣)) تكليف الطلبة ببعض الواجبات.

((٤)) ربط المادة العلمية بواقعنا المعاصر وثقافتنا الإسلامية.

مَصادِرُ المُقَرَّرِ وَمَراجِعُهُ:

المرجع الأساس:

مذكرة ((قضايا ثقافية معاصرة)) أ.د. أحمد الحليبي/ مكتبة الأبرار بالجامعة.

المراجع:

((١)) الإسلام في عصر العلم. محمد فريد وجدي.

((٢)) الدين والعلم. محمد أحمد الغمراوي.

((٣)) الفكر الإسلامي الحديث.البهي الخولي.

((٤)) التبشير والاستعمار. عمر فروخ ومصطفى خالدي.

((٥)) الغارة على العالم الإسلامي. لشاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.

المُحاضَرَةُ الأولى

الوَسَطِيَّةُ1

عَناصِرُ المُحاضَرَةِ

((١)) مُقَدِّمَة:

نبين فيها سمة الوسطية وأنها ملازمة للأمة الإسلامية الخاتمة.

((٢)) مَفهُومُ الوَسَطِيَّةِ.

مُقَدِّمَةٌ:

- **الوسطية سمة هذه الأمة، وبها تُعْرف دون الأمم، بل هي ميزة ميزها الله بها على غيرها، ورد وصف الأمة بها في القرآن الكريم في قوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة:من الآية١٤٣].**
- **قال ابن تيمية رحمه الله: ((قد خصَّ الله محمداً بخصائص ميَّزه بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شِرْعة ومنهاجاً أفضل شرعة، وأكمل منهاج مُبِين، كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس ... وجعلهم وسطاً عدلاً خياراً؛ فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه، وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام)).**

-ومع كون الوسطية سمة من سمات الأمة فإنه يتنازعها في الواقع العديد من الأطراف، منهم الجافي والمغالي، ومنهم من يأخذ بها في طرف دون طرف.

- **بل تستخدم الوسطية أحياناً لتمرير بعض المفاهيم الخطأ، وتلبيس الحق بالباطل، أو توظَّف لأغراض ظاهرها الدين وباطنها الدنيا، وتضيع الوسطية بين الإفراط والتفريط.**
- **ومن هنا كان من المهم بيان الوسطية ومجالاتها ومنهجها.**

مَفهُومُ الوَسَطِيَّةِ:

- **ليس المقصود بالوسطية أنها ملتقى الطرفين دائماً لأن هذه الأمة آخرُ الأمم، وإنما المقصود بها أن هذه الأمة أمَّةُ خيارٍ عُدُولٍ؛ لقوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة:١٤٣].**

–ولقول النبيِّ : ((نَحنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَومَ القِيامَةِ)). [أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة].

–والوسطية حالة محمودة تدفع صاحبها للالتزام بهدي الإسلام دون انحراف عنه، أو تغيير فيه، بل تستقي الهدي الصادق من النبع الصافي لتجعل الأمة عادلة وتقيم العدل بين الناس، وتنشر الخير، وتحقق عمارة الأرض بوحدانية الله، فيعطى في ظل الإسلام كل ذي حقٍّ حقَّه.

–وقد أشار القرآن إلى الوسطية بمعنى الخيرية في آيتين من خمس آيات نصت على لفظة الوسطية:

الأولى في قوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة:١٤٣].

والثانية في قوله : ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ﴾[القلم:٢٨]؛ أي: أعدلُهم وأرجحُهم عقلاً.

–كما أن الوسطية تعني أعدل الأحوال؛ كما جاء في حديث النبي للثلاثة الرهط حين تقالُّوا عبادته ، فقال لهم: ((أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخشاكُمْ لِلَّهِ وَأَتقاكُمْ لَهُ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي)) [مسند الإمام أحمد ٢٨٥/٣].

–وقد فهم الصحابة والسلف ذلك المعنى من الوسطية؛ فنقل عن الإمام علي قوله: عليكم بالنَّمَط الأوسط؛ فإليه ينزل العالي، وإليه يرتفع النازل.

وفي رواية: يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي. [أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث].

– وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إنَّ من أحب الأمور إلى الله القصدَ في الجِدَةِ، والعفوَ في المقدرةِ، والرِّفقَ في الولاية، وما رفق عبدٌ بعبدٍ في الدُّنيا إلا رفق الله به يوم القيامة. [رواه ابن أبي شيبة].

–وقد عنى النبي بالوسطية أيضاً أنها البعد عن الشَّطط والانحراف واللغو؛ فقال : ((وَإِيَّاكُم وَالغُلُوَّ في الدِّينِ؛ فَإِنَّما هَلَكَ من كانَ قَبلَكُمْ بِالغُلُوِّ في الدِّينِ)). [أخرجه الإمام أحمد والنسائي . وصححه . ابن خزيمة وابن حبان والحاكم].

–وقال صلى : ((يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا؛ إِنَّما بُعِثتُمْ مُيَسِّرين وَلَم تُبعَثُوا مُعَسِّرِين)). [متفق عليه].

– وتقوم وسطية الإسلام على قواعد من القرآن والحديث النبوي.

–وفي قول اللَّه في محكم التنزيل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أوضح الطبري هذا التشبيه بقوله: والوسط في كلام العرب: الخيار... ثم قال: وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين. [تفسير الطبري ٢/٥].

- **ووصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غَلَوا بالتَّرهُّبِ وقيلِهِم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله وقتَّلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم . أي: المسلمين . أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك؛ إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها... والخيار من الناس: عدولُهُم.**

–وقال الرازي الوسط: هو العدل في قول جماعة بدليل الآية والخبر والشعر والنقل والمعنى، أما الآية فهي: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾، والخبر: ما رواه القفال عن الثوري عن أبي سعيد الخدري عن النبي أنه قال: ((أمة وسطاً؛ قال: عدلاً)).

–وما رواه ابن السمعاني عن علي مرفوعاً: ((خَيرُ الأُمُورِ أَوسَطُها أو أوساطُها)).

- **وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما عند الديلمي: ((خَيرُ الأُمُورِ أَوسَطُها)).**

والشعر قول زهير:

هُمُ وَسَطٌ يَرضَى الأَنامُ بِحُكْمِهِمْ إِذا نَزَلَت إِحدَى اللَّيالِي بِمُعظَمِ

– والنقل كما قال الجوهري في ((الصحاح)): ((أمة وسطاً؛ أي: عدلاً))،

–وأكد القرطبي تفسير الوسط بأنه العدل.

- **فثبت أن الأمة الإسلامية متصفة بالعدالة؛ مما جعلها أهلاً لأداء الشهادة على الأمم الأخرى بأنَّ رسلهم بلَّغوهم رسالات ربهم، ورسولنا شاهدٌ علينا بأنَّه بلَّغنا الرسالة، وأدى الأمانة.**

–كما ثبت عند القائلين بتفسير الوسط بأنه الخيار من كل شيء أنَّ الأمة الإسلامية معتدلة متوسطة في رسالتها وشريعتها، ومبادئها وقيمها، تلتزم الصراط السوي، وتلتزم منهج الاعتدال، وتتجه بإخلاص منقطع النظير لإصلاح الأمم والشعوب والأفراد بما يحقق لهم السعادة والنجاة، ويكفل لهم عز الدنيا، والفلاح في الآخرة على أساس الجمع بين المثل العليا والواقع المشاهد.

- **ثم إن اتصاف الأمة الإسلامية بالعدالة والخيرية يؤهلها لأن تكون أمة القيادة والتوجيه، لالتزامها شرف الكلمة والإحسان والعدل، والتوازن والاعتدال، ولصواب عقيدتها، وإحكام نظامها وشريعتها ومنهجها.**

المُحاضَرَةُ الثَّانِيَةُ

الوَسَطِيَّةُ2

عَناصِرُ المُحاضَرَةِ

((١)) وَسَطِيَّةُ الأُمَّةِ وَالدِّينِ وَالرِّسالَةِ.

((٢)) مَعالِمُ الوَسَطِيَّةِ.

((٣)) مَجالاتُ وَمَظاهِرُ الوَسَطِيَّةِ.

وَسَطِيَّةُ الأُمَّةِ وَالدِّينِ وَالرِّسالَةِ:

- **والمعنى في هذا السياق القرآني ينصرف إلى أمور ثلاثة:**

أولها: الأمة الوسط. وثانيها: الدين الوسط. وثالثها: الرسالة الوسط.

- **فالأمة الوسط التي تدين بالدين الوسط وهي ذات رسالة وسطية، تحمل مبادئ الإيمان والحرية والمساواة والتكافل والتضامن بين جميع البشر، وتنشر قيم الخير والفضيلة، وتدعو الناس كافة إلى سواء السبيل، وتسلك بهم الطرق المستقيمة التي توصلهم إلى الأمن والأمان، والسلام والاطمئنان، وإلى سكينة القلب وراحة الوجدان.**

–والأمة الوسط شاهدة على الناس الشهادة التي تؤكد التكليفَ الإلهيَّ؛ ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

–والشهادة بالحق هي أعلى الدرجات في سُلَّمِ المسؤوليَّة التي تتحمَّلها الأمة الإسلامية وتنهض بأعبائها وتقوم بواجباتها.

–لقد اختار اللَّه الأمة الإسلامية لتكون شاهدة على العالمين لأنها أمة الوسط، لا تميل إلى التفريط ولا إلى الإفراط.

- **ولأن خيرية الأمة من وسطيتها يقول في كتابه العزيز: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ فالخيرية في هذا السياق هي الوسطية، واللَّه وصف أمة الإسلام بالصفتين معاً، كما وصفها بصفات أخرى في آيات كثيرة.**

–ولما جعل اللَّه هذه الأمة وسطاً فقد خصَّها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج؛ كما قال : ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

–لقد جعل اللَّه الإسلام ديناً وسطاً وأمر المسلمين بأن يكونوا خياراً عدولاً، فهم خيار الأمم والوسط في الأمور كلها، بلا إفراط ولا تفريط، في شأن الدين والدنيا، وبلا غلو في دينهم، ولا تقصير منهم في واجباتهم،

- **فهم ليسوا بالماديين، ولا بالروحانيين، وإنما جمعوا حق الجسد وحق الروح، تمشياً مع الفطرة الإنسانية القائمة على أن الإنسان جسد وروح.**

– ولعلنا بهذا الربط بين (وسطية الإسلام)، وبين (خيرية الأمة الإسلامية)، نصل إلى إدراك المفهوم العميق لهذا المبدأ السامي من مبادئ الإسلام؛ وهو مبدأ لم تكن تعرفه الأديان السماوية السابقة على الإسلام، وذلك مما يتطابق تطابقاً تاماً مع الدين الخاتم والرسالة الخاتمة.

– ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن على أي نحو من الأنحاء أن الوسطية تعني مستوى من مستويات التوفيق بين قواعد ومبادئ وقيم ومثل نزولاً على مقتضى من المقتضيات، أو أنها ضرب من (التقريب) بين ما تَبايَنَ واختلف من التشريعات والأحكام. فهذا الفهم للوسطية يجافي حقيقتها ويتعارض مع خصوصيتها.

–وجملة القول أن الوسطية هي تحقيق لمبدأ التوازن الذي تقوم عليه سنة اللَّه في خلقه. يقول : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾؛ أي: بمقدار وبميزان.

–فالوسطية هي المنهج الرباني، والنظام الكوني الإلهي، وسنة اللَّه في خلقه، وهي تنسجم مع الفطرة الإنسانية، ولذلك فالخير كلُّه في الوسطية التي جاء بها الإسلام للأمة الإسلامية وللإنسانية جمعاء، في كل زمان ومكان.

–وقد بلغت الوسطية الإسلامية وتبلغ هذا المقام في حضارتنا لأنها بنفيها الغلو الظالم والتطرف الباطل إنما تمثل الفطرة الإنسانية الطبيعية في براءتها، وفي بساطتها، وبداهتها، وعمقها، وصدق تعبيرها عن فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها، إنها صبغة اللَّه.

مَعالِمُ الوَسَطِيَّةِ:

((١)) توحيد مصادر المعرفة: وذلك بالجمع بين الوحي والعقل؛ فالوحي هو مصدر التشريع، والعقل له دور في فهم الوحي، كما أنه مصدر من مصادر المعرفة البشرية العامة في الحياة، كما أنه يجمع بين علوم الشريعة وعلوم الحياة.

((٢)) التلازم بين الظاهر والباطن: فيجمع بين الاهتمام بأعمال الجوارح وأعمال القلوب، أو ما يعرف بفقه الظاهر وفقه الباطن.

((٣)) الاتباع في الدين، والإبداع في أمور الدنيا.
((٤)) صحة النقل وصراحة العقل: فيجمع بين منهجي مدرسة الرأي ومدرسة الأثر.

((٥)) الجمع بين عمارة الحياة والسمو الروحي: فيتولد عنه الاتزان بين متطلبات الجسد والروح، وتكون الدنيا مزرعة الآخرة، ويجمع بينهما وَفْقَ منهج الله.
((٦)) الاجتهاد الصادر من أهله وفي محله: فلا هو يغلقه كلية، ولا يفتح لكلِّ أحد.
((٧)) الثبات في الأهداف والمرونة في الوسائل.
((٨)) التوازن في التعامل مع التراث احتراماً بين التَّقديس والتَّبخيس.
((٩)) التَّكامل في بناء الإنسان عقلاً وروحاً وجسداً ووجداناً بصورة متوازنة.

((١٠)) قوة المضمون وجمال العرض والأسلوب: فكم من الجواهر الحِسَان ضاعت لسوء عرضها، وكم من الناس غشَّ الآخرين ببضاعته المزجاة لأنه أحسن عرضها.
((١١)) الجمع بين التهذيب والتأديب، بين البناء الداخلي والسلطان الخارجي.
((١٢)) تحرير المرأة من الوافد المستَلِب ومن التقليد الموروث؛ وذلك أن القضية اكتنفها طرفان: طرف يريد للمرأة الانسلاخ من القيم، وآخر يُكْرهها على عادات وتقاليد لا علاقة لها بالشرع، والوسط أن يعيش كل من المرأة والرجل وفق منهج الله.

مَجالاتُ وَمَظاهِرُ الوَسَطِيَّة:

إن للوسطية في الإسلام مظاهر متعددة في مجالات متنوعة، فالوسطية الإسلامية كامنة في الاعتقاد والعبادات والشعائر والأخلاق والتشريع.
((١)) ففي مجال الاعتقاد نجد الإسلام وسطاً بين الخرافيين الذين يصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس، كما أنه وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإلَهٍ قطُّ وبين الذين يعددون الآلهة حتى عبدوا الأبقار وألَّهوا الأوثان والأحجار.
((٢)) وهو وسط بين الذين يقدسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية أو البنوة للإله وبين الذين كذبوهم واتهموهم وصبوا عليهم كؤوس العذاب، وهو وسط بين الذين يؤلِّهون الإنسان وبين الذين جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية

((٣)) والوسطية في العقيدة موافقةٌ للفطرة باعتماد منهج القرآن والسنة والسلف الصالح في أمر العقيدة، والبعد عن اصطلاحات الجدليين، والاهتمام ببيان أثر العقيدة على النفوس، واعتماد طريقتي المعرفة النقلية والعقلية في العقيدة لتقوية الصلة بالله .

((٤)) وفي مجال العبادات والشعائر نجد الإسلام وسطاً بين الأديان والنِّحَل التي ألغت الجانب الربَّانيَّ . جانب العبادة . من معناه كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده. وبين الأديان والنِّحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية. فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محدودة، ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله.

((٥)) وسطية الشعائر الدافعة للعمارة، فالتكاليف ليست كثيرة ولا شاقة، كما أنها لا تتعارض مع متطلبات الحياة من سعي لرزق وكدح لتأمين معاش.

((٦)) التوسط بين التمذهب والتقليد: وما أحسن ما عبر عنه الإمام ابن القيم رحمه الله؛ حيث فرق بين التقليد والاتباع؛ فالاتباع عمل بقول الغير مع الحجة والدليل، أما التقليد فهو عمل بغير دليل.

((٧)) وسطية في الفتوى: بالمقارنة بين الكلِّيِّ والجزئيِّ، والموازنة بين المقاصد والفروع، والربط بين النصوص ومعتبرات المصالح في الفتاوى والآراء؛ فلا شَطَطَ ولا وَكسَ.

((٨)) وفي مجال الأخلاق نجد الإسلام وسطاً بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان مَلاكاً أو شِبهَ ملَاكٍ وبين غُلاة الواقعيين الذين حسبوه حيواناً أو كالحيوان، فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مُركب فيه العقل وفيه الشهوة، فيه غريزة الحيوان وروحانية المَلاك.

((٩)) وسطية في التعامل مع الآخر: فيجعل الحوار أساساً للتعامل مع الآخر، ويعطيه الحرية في ممارسة شعائره، ولا يكون الخلاف دافعاً للعداء أو الاعتداء، بل العيش المشترك هو الجامع للتعاون، وأن المواطنة تقرب بين المختلفين، وتجعلهم يسعون للاشتراك في تحقيق المصالح المرجوة للجميع.

((١٠)) والإسلام وسط في النظرة إلى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة واعتبروا الحياة الدنيا هي البداية والنهاية، وبين الذين رفضوا هذه الحياة وألغوا اعتبارها من وجودهم واعتبروها شَرَّاً تجب مقاومته والفرار منه، فحرَّموا على أنفسهم طيباتها وزينتها.

((١١)) وفي مجال التشريع نجد الإسلام وسطاً في التحليل والتحريم بين اليهودية التي أسرفت في التحريم وكثرت فيها المُحرَّمات مما حرَّمه إسرائيل على نفسه ومما حرَّمه الله على اليهود جزاء بغيهم وظلمهم، وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة.

((١١)) ومن المظاهر الفريدة في وسطية الإسلام أنه وازن بين الفردية والجماعية، بعكس التيارات الفلسفية والفكرية التي جاء بعضها ليطلق حرية الإنسان في كل شيء، والمذاهب الأخرى التي جاءت لتجعل خصوصيات الفرد مشاعاً للمجتمع كله.

((١٢) والإسلام وسط في التفاعل الحضاري: من خلال الفاعلية الإيجابية دون تقوقع أو استلاب، والاعتزاز بلا استعلاء، والتسامح بلا هوان، فالمسلمون أمة قائمة برأسها تتمتع بخصائصها الذاتية المتميزة، فهم كما وصفهم رسولهم الكريم : ((المُسلمون تَتَكافَأُ دِماؤُهُم، وَيَسعَى بِذِمَّتِهِم أدناهُم، وَهُم يَدٌ على مَنْ سِواهُم)).

المُحاضَرَةُ الثَّالِثَةُ

عالَمِيَّةُ الإسلامِ وَالرَّوابِطُ البَشَرِيَّةُ

عَناصِرُ المُحاضَرَةِ:

((١)) مَفهُومُ العالَمِيَّةِ.

((٢)) مُستَنَدُ عالَمِيَّةِ الإسلامِ:

أولاً: أدلَّةُ عالَمِيَّةِ الإسلامِ من القُرآنِ الكَريمِ.

ثانياً: أدلَّةُ عالَمِيَّةِ الإسلامِ من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المُطَهَّرَةِ.

((٣)) مُرتَكَزاتُ عالَمِيَّةِ الإسلامِ وَدَعائِمُها.

((٤)) الرَّوابِطُ البَشَرِيَّةُ: مَفهُومُها وَأنواعُها.

مَفهُومُ العالَمِيَّةِ:

–لغةً: العالَميَّة نسبة إلى العالَم. والعالَم في اللُّغَةِ: الخلقُ كلُّهُ، وقيل: كلُّ ما حواه بطنُ الفَلَكِ، وكلُّ صنفٍ من أصناف الخَلقِ كعالَم الحيوانِ وعالَم النَّبات وغيرها.

–من ناحية المفهوم فالعالَميَّة أو: عالَمِيَّة الإسلام تعني: أنَّ رسالةَ الإسلام غيرُ محدودةٍ بعصرٍ ولا بجيلٍ ولا بمكان؛ فهي تخاطبُ كلَّ الأمَمِ وكلَّ الأجناسِ وكلَّ الشُّعُوبِ وكلَّ الطبقاتِ وهي هدايةُ ربِّ النَّاسِ لكلِّ النَّاسِ ورحمةُ اللهِ لكلِّ عبادِ اللهِ.

– عالَميَّةُ الإسلام . معنىً ولفظاً . نطقَ بها القرآن، وحينما نقول: ((شيءٌ عالميٌّ)) فمعناه أنَّه في العالَم كلِّه أو للعالَم كلِّه.

–والإسلامَ للعالَمين؛ فالقرآن الكريم وصف الرسالة الإسلاميَّةَ بأنَّها للعالَمين: ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، ﴿تَبَارَكَ الَذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾؛ فإذا منتهى العالمية في خطابه.

–فالإسلامُ دينٌ عالَميٌّ ارتضاه الله لجميع الخلق إلى أن يَرِثَ الله الأرضَ ومَنْ عليها، وهو وحده الذي جاءت هدايتُهُ شاملةً لجميع مَناشِطِ الحياة ولمعالجة كلِّ القضايا، ويمكنُ تطبيقُ مبادئِهِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

–والتشريعُ الإسلاميُّ جاءَ شاملاً وكاملاً وخالداً، لا يختصُّ بزمانٍ دون زمانٍ، ولا بقُطرٍ دون غيرِهِ، ولا بخَلقٍ دونَ سِواهُم.

مُستَنَدُ عالَمِيَّةِ الإسلامِ:

–يستَنِدُ مفهومُ عالَمِيَّةِ الإسلامِ على نصوصٍ كثيرةٍ من القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ النبويَّةِ؛ كلُّها تجعَلُ من المعلومِ ضرورةً أنَّ الإسلامَ عالميٌّ.
–وأنَّهُ عقيدةٌ لا ينفرد بها شعبٌ أو مجتمعٌ بعَينِهِ، ولا يختصُّ ببلدٍ أو بلادٍ معيَّنَةٍ، بل هو دينٌ ذو قوانينَ تسري على الأفرادِ على اختلافِهِم من العُنصرِ، والوَطَنِ، واللِّسانِ.
– **ولا يفترض لنفوذه حاجزاً بين بني الإنسان، ولا يعترف بأية فواصلَ وتحديداتٍ جنسيَّةٍ أو إقليميَّةٍ أو زمنيَّةٍ؛ فهو عامٌّ في المكانِ والزَّمانِ.**

أوَّلاً: أدلَّةُ عالَمِيَّةِ الإسلامِ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ:

إذا نظرنا في نصوص القرآن الكريم وجدنا دلالةً واضحةً على عالَمِيَّةِ الإسلامِ، وذلك من عدة وجوه:
الوجه الأول : نصوصٌ صريحةٌ؛ منها:
النَّصُّ الأوَّلُ: ﴿تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرقانَ على عَبدِهِ لِيَكُونَ لِلعالَمِينَ نَذِيراً﴾.
النَّصُّ الثَّاني: ﴿وَما أَرسَلناكَ إِلاَّ كافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾.
النَّصُّ الثَّالِثُ: ﴿قُل يا أَيُّها النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُمْ جَمِيعاً﴾.
النَّصُّ الرَّابِعُ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيرَ الإِسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ﴾.
النَّصُّ الخامِسُ: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلعالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.
النَّصُّ السَّادِسُ: ﴿وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هَذا القُرآنُ لأُنْذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾.
النَّصُّ السَّابِعُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾.

إنَّ هذه الآيات تدلُّ على عالَميَّةِ الرِّسالةِ المحمَّديَّة بشكلٍ لا لبس ولا شكَّ فيه.

الوجهُ الثّاني: دعوةُ غيرِ العَرَبِ:

جاء في القرآن الكريم دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين إلى الإسلام الذي جاء به محمَّدٌ ، وبيَّنَ لهم أنَّ الإسلامَ هو الدِّينُ الحقُّ الذي لا يقبل الله سواه؛ حيث قال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيرَ الإِسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ﴾؛ بل تجاوزت رسالة نبينا محمد اليهود والنصارى والبشريَّةَ بأكملها فلم تقتصر على عالَم الإنسِ فقط بل تعدَّت ذلك إلى عالَمِ الجنِّ أيضاً.

قال : ﴿قُل أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَبَاً يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَآمنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً﴾

وقال : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ*قالُوا يا قَومَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِما بَينَ يَدَيهِ يَهْدِي إلى الحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

الوجه الثالث: خطابات القرآن ونداءاته العامة:

إن القرآن الكريم كثيراً ما يوجه خطاباته إلى الناس غير مقيدة بشيء، وهذا دليل واضح على أن خطاباته وتوجيهاته تعم الناس كافة؛ ومن أمثلته:

–قوله : ﴿يا أَيُّها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا في الأَرضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

– وقوله : ﴿يا أَيُّها النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. وغيرها من الآيات كثير، فهو يخاطب الناس جميعاً بقوله: ((يا أيها الناس)) ولم يقل: ((يا أيها العرب)).

الوجه الرابع: التشريعات القرآنية عالمية:

– يعتمد الإسلام في جميع أحكامه وتشريعاته، وما يخص الإنسان في معاشه ومعاده على طبيعة الإنسان التي يتساوى فيها جميع البشر.

ولا يجد الباحث مهما أوتي من مقدرة علمية كبيرة فيما جاء به نبي الإسلام أيَّ طابَعٍ إقليمي، أو صبغة طائفية. وتلك آية واضحة على أن دعوته دعوة عالمية لا تتحيز إلى فئة معينة، ولا تنجرف إلى طائفة خاصة.

–فالعبادات والمعاملات والأخلاق، والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقضائي.... لا تجد في ثنايا أيٍّ منها أيَّ تفكير طائفي أو نزعة إقليمية؛ فمثلاً: في المعاملات وما يترتب عليها من مقاضاة بين الناس يأمر الله المسلم أينما وجد زماناً ومكاناً قائلاً: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إلى أهلِها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَينَ النَّاسِ أن تَحْكُمُوا بِالعَدلِ﴾.

الوجه الخامس: الإسلام ينبذ أيَّ مقومات للتفرقة بين الناس:

إن أقوى دليل على أن الإسلام رسالة عالمية مكافحته للنزاعات الإقليمية والطائفية، فالإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود ولا بين جنس وآخر؛ والمقياس الوحيد للتفاضل في الإسلام هو التقوى.

قال : ﴿يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتقَاكُمْ﴾.

ثانِيا: أَدِلَّةُ عالَمِيَّةِ الإِسلامِ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المُطَهَّرَةِ:

- **النص الأول: قوله يخبر قومه: ((والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة)).**
- **النص الثاني : أنَّ النبي رحمة مهداة للناس كافة: ((يا أيُّها الناس إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ)).**
- **النص الثالث: اختص من بين الأنبياء بأنه بعث للناس كافة: ((أُعطِيتُ خمسا لم يُعطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي... وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافةً)).**
- **أرسل كُتُباً إلى عظماء زمانه يدعوهم فيها للإسلام، فبعثَ سفراءَهُ وفي أيدي كل واحد منهم كتاباً خاصاً إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، وعظيم القبط، وملك الحبشة...**
- **رسالته إلى كسرى ملك فارس: ((بسم الله الرحمن الرحيم... من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى، وأدعوك بدعاية الله؛ فإني أنا رسول الله إلى**

الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، أسلِمْ تَسْلَمْ فإن أَبَيْتَ فعليك إثم المجوس)).

– وهذا أيضاً ما كتبه إلى قيصر ملك الروم يقول فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم.. إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى.. أما بعد فإني أدعوك بالإسلام: أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يؤتك الله أجرك مرَّتين؛ فإن توليت فإنما عليك إثم الأَرِيسِيِّين)).

ثالثاً: مرتكزات عالمية الإسلام ودعائمها:

((١)) عالمية الدعوة:

– إن أعظم الأدلة على عالمية الإسلام هو سرعة انتشاره ودخول الكثيرين فيه في العديد من المناطق اعتمادا على قوة الحجة في خطاب الدعوة الإسلامية للفكر الإنساني.

– وأبرز أمثلة هذا الانتشار هو مبادئ ديننا الحنيف التي تبرز عالمية الدعوة تجسيداً لوحدة النوع الإنساني، وترسيخاً لمبدأ سواسية الناس في الخلقة، وتحقيقاً لإرادة الله في جعلهم شعوباً وقبائلَ ليتعارفوا ذلك التعارفَ الذي يقود إلى التعاون والتكامل والسعي إلى التفاضل بالتقوى.

((٢)) وحدة النوع الإنساني:

–يمتاز الإسلام بنظرته إلى وحدة النوع الإنساني؛ فالناس يشكلون وحدة إنسانية لا تمايز بين شعوبها وأفرادها في الأصل أو الطبيعة أو المصير، والناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

–هذه النفس الواحدة تعود إلى ذكر أو أنثى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾، ثم إن هذا الأصل الواحد يعود بعد ذلك إلى أب واحد، ينتسب إلى التراب.

– يقول : ((يا أيها النَّاس إنَّ ربَّكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضلٌ إلا بالتَّقوى)).

((٣)) وحدة الطبيعة الإنسانية:

-هذه الطبيعة أو الفطرة الواحدة موجودة في الناس جميعا، وهي التي أكد عليها قول الله : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

-وقد منح الإسلام هوية جديدة للإنسان، وأحدث من أجل استيعاب هذه الهوية أمة جديدة لم يكن لها مثيل من بين الأمم.

-لم تقم هذه الأمة على أسس عرقية أو دينية أو لونية، وإنما قامت على أساس الاعتراف بالإنسان، فكان الإسلام دين الإنسان بحق، اعترف بنوازعه فأحكم لها ضوابطها.

- بل هو مواطن عالمي، صور الله دخائله ونوازعه تصويراً لم تبلغه فلسفات الأرض قديمُها ولا حديثها، وبوأه منزلة لم ترق به الأيديولوجيات مبلغها في قوله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.

((٤)) مهمة الأمة الإسلامية ووظيفتها:

-الأمة الإسلامية أمة عالمية يجمعها أمر واحد ودين واحد، وتكاليفها واحدة، وهي تحمل أمانة الشهادة على الناس يوم القيامة، قال الله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

- ولكن هذه الوحدة البشرية التي جاء بها الإسلام لم تمح خصوصيات الشعوب، بل اعتبر الله التمايز بين الناس لوناً وعرقاً ولساناً آيةً من آياته ، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾.

((٥)) عالمية الخطاب القرآني للفكر الإنساني:

-إن الخطاب القرآني قد خاطب العقل الإنساني، ودعاه إلى التأمل والتدبر والنظر في آيات كثيرة.

-قال الله : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾.

(والآيات القرآنية التي تدعو إلى النظر وإعمال الرأي والتأمل كثيرة، وقد تصل إلى مئات الآيات، وهي تحمل تربية عقلية ترقى بمستوى الفكر لمن تدبرها واتبع منهجها.

((٦)) عالمية القيم:

–والقيم الإسلامية عالمية في ذاتها، مرنة في تطبيقها لأنها استجابة للفطرة السوية، فقيم العدل والتعاون والمساواة وغيرها قيم عالمية في ذاتها، تَواضَعَ عليها النَّاسُ واصطلحوا جميعاً، واستحسنها العقل البشري في مختلِف الأزمان.

- **وهي واضحة في منهجها، مرنة في تطبيقها، تمتاز بالاعتدال والتوسط بين الحقوق والواجبات، وتلائم بين النزعة الفردية والمصلحة الاجتماعية، وتغذي الروح والجسد، وتطمح إلى المثال مع مراعاة الواقع وترسخ الثوابت وتساير التطور.**

((٧)) عالمية الحلول للمشاكل الإنسانية:

–قدم الإسلام حلولاً لمختلِف معضِلات الحياة في عقيدةٍ واضحةٍ ومنهجٍ بيِّنٍ لا لبس فيه، فداوى القلقَ، وعالج اليأس، وأذهب الغمَّ، وجعل للحالات النفسية أدوية يلمسها من تفهَّمَ معاني القرآن الكريم وتفيَّأَ ظلاله وعاش في رحابه، واقتبس من نور النبوة ما يضيء به مسيرة حياته.

–((٨)) عالمية النظام الاجتماعي: أقام الإسلام نظاماً اجتماعياً رائداً، أساسه التكافل، وعماده نسيج اجتماعي متلاحم، فالمؤمنون إخوةٌ أُخُوَّةً تعلو على رابطة النسب.

- **قال الله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، هكذا فالمجتمع مفتوح لكل من أراد الانتماء إليه، لذلك ضم إليه مختلف الأجناس والألوان والطبقات.**

مفهوم الروابط البشرية:

– تمثل الروابط البشرية حالة التواصل الفطرية والمكتسبة بين الأفراد والجماعات، وما ينشأ عنها من حقوق وواجبات وعلاقات أدبية من تواد وتراحم وغيرها، هذه الروابط يقوم عليها بنيان المجتمعات وتربط أفرادها بعضهم ببعض.

–وقد قرر الإسلام مجموعة من المبادئ التي تدعم هذه الروابط وتقويها، من أهمها: الكرامة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، والمساواة بين الناس، والحرية، والوفاء بالعهود والمواثيق، والتعاون على البر، والتسامح مع الآخر.

–﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ في البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾.

– وقال : ﴿وَتَعاوَنُوا على البِرِّ وَالتَّقوى وَلا تَعاوَنُوا على الإِثمِ وَالعُدوانِ وَاتَّقُوا اللهَ﴾.

–كما بنى الإسلام علاقة المجتمع الإسلامي بغيره على أساس السلم.

–قال : ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادخُلُوا في السِّلمِ كافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

–لأنه في بيئة السلم تقوى العلاقات الاجتماعية، وتنمو الصلات الحميمية بين الناس، ويشعرون بقيمتها وآثارها النافعة.

أنواع الروابط البشرية:

((١)) رابطة وحدة الأصل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ لِقَومٍ يَفْقَهُونَ﴾.

وقوله : ﴿يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾.

((٢)) رابطة الأسرة والقرابة: إن ارتباط الإنسان بأفراد أسرته أباً أو أمّاً أو زوجةً أو أولاداً أو أقاربَ وأرحاماً هو ارتباطٌ فطري يقرُّه الإسلام، ويأمر به: ﴿وَبِالوالِدَيْنِ إِحْساناً وَبِذِي القُربَى﴾، ﴿وَأُوْلُوْ الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾، ﴿وَوَصَّيْنا الإنسانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾.

لكن بالرغم من ذلك فإنها لا تُقدَّمُ على رابطة الإيمان التي يتعين أن تكون غايةً عليا لتواصل المؤمن وعلاقته بغيره، ﴿قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُم وَإِخْوانكُم وَأَزواجُكُم....أحبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ في سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حتَّى يَأتِيَ اللهُ بِأَمرِهِ وَاللهُ لا يَهدِي القومَ الفاسِقين﴾.

((٣)) رابطة الدين: إن غاية الإسلام من رابطة الدين تحرير البشرية كلها من عبودية الأهواء، والارتفاع بها عن أوضار الحقد وشوائب العصبيات؛ لتصوغ علاقاتهم الإنسانية صياغة

فريدة، قوامها الدين الحنيف، ولُحمَتُها التناصح والتآزر، وجوهرها الإخلاص وسلامة النفس. ﴿إِنَّما المُؤمِنُونَ إِخوَةٌ﴾، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْواناً﴾.

((٤)) رابطة الميثاق: لما كانت علاقة السلم هي الأصل في العلاقات الإنسانية، وهي ضمان تحقيق الأمن والسلامة للشعوب والأمم ودفع الظلم عن المستضعفين، فإن العهود التي تُكَوِّنُ هذه الرابطة وتقويها يجب احترامها إذا كانت قائمة على العدل والإنصاف واحترام الآخرين والاعتراف بحقوقهم.

– فقد كانت عهود النبي عهوداً عادلة، وحرَّم الإسلام نقض العهد بعد إبرامه، ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرضِ أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾.

–وأول من يجب لهم الوفاء بالعهد أهل الذمة المقيمون بيننا، فلهم حق المواطنة.

–قال : ((من قتل مُعاهَداً لم يرح رائحة الجنة)).

–وقال : ((ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلَّفَهُ فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة))..

المُحاضَرَةُ الرَّابِعَةُ

الاستِشراقُ

عناصر المحاضرة:

((١)) معنى الاستشراق.

((٢)) تاريخ الاستشراق.

((٣)) مراحل الاستشراق.

((٤)) أهداف الاستشراق.

((٥)) وسائل الاستشراق وأنشطة المستشرقين.

((٦)) آثار الاستشراق على ثقافة المسلمين.

معنى الاستشراق:

– ما معنى هذه الكلمة؟ لو أرجعنا هذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه.

–إن كلمة: ((الاستشراق)) كلمة مُوَلَّدَةٌ وعصرية، ومأخوذة من الفعل: (استشرق)، ومن كلمة: (شرق).

–وقد عرَّف صاحب ((معجم متن اللغة)) كلمتي الاستشراق والمستشرقين بقوله: الاستشراق طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويسمى من يقوم بذلك: ((مستشرقاً))، وجمعه مستشرقون، وما ينجزونه يسمى: ((استشراقاً)).

–وفي اللغة الإنجليزية تُعرف بِـ: ((أوريانتاليزم)) (Orientalism)، كما يعرف المستشرق بِـ: ((أوريانتاليست)) (Orientalist)، وكلمة الاستشراق وكلمة المستشرق في اللغة الإنجليزية مأخوذة من كلمة: ((أوريانت)) (Orient) التي هي بمعنى الشرق، فحقيقة مصطلح كلمة الاستشراق أنها ترجمة لكلمة: ((أوريانتاليزم)) (Orientalism) التي أدرجت في ((قاموس الأكاديمية الفرنسية)) في القرن التاسع عشر، وبالتحديد في عام ((١٨٣٨))م.

- **أي: إن هذا المصطلح خرج قبل القرن التاسع عشر، وبرز وتحدث عنه عدد من الغربيين، ثم أدرج في ذلك القاموس في القرن التاسع عشر ميلادي.**

-ويرى المستشرق (ميكائيل أنجلو جويدي)) أن المستشرق الجدير بهذا اللقب هو الذي لا يقتصر على معرفة بعض اللغات التي تتحدث بها الأمم الشرقية وإدراك عاداتها فحسب، بل يجمع إلى ذلك الوقوف على القوى الروحية والفكرية والأدبية التي أثرت في الثقافة الإنسانية.

تاريخ الاستشراق :

- **لا يمكن تحديد اسم أول غربي اعتنى بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت، ولكن المتوقع أن رجال الكنيسة في أوروبا هم أول من قصد البلاد الشرقية، ولاسيما الأندلس إبان ازدهارها لدراسة العلوم الإسلامية وترجمة القرآن الكريم والعلوم الأخرى وبخاصة الفلسفة والطب والرياضيات.**
- **ومن أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي: ((جربرت)) الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ((٩٩٩))م بعد عودته من الأندلس.**

-وبطرس المحترم ((١٠٩٢ . ١١٥٦))م، وجيراردي كريمون ((١١١٤. ١١٨٧))م.

-تلك كانت البداية، إلا أن المؤرخين يكادون يجمعون على أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة نشيطة بعد فترة عهد الإصلاح الديني على يد ((مارتن لوثر)) عام ((١٥٤٣))م.

مراحل الاستشراق

لقد مرَّ الاستشراق بثلاث مراحل، وهي على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة استكشاف كُنْهِ الإسلام وأسباب انتشاره، وحقيقة الفاتحين المسلمين وسر قوتهم العسكرية.

وتعد هذه المرحلة مرحلةً موضوعيَّةً تبحث عن الحقيقة.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة مشوبةٌ بالعُدوان، وتبحث عن العيوب والنقائص في العلوم الإسلامية وبُنية المجتمع، وتوجِّه الصليبيين ضد مصالح المسلمين، وتعمل على إثارة الشُّبَهِ حول قضايا الإسلام لإضعاف القناعة به.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة العدوان السافر.

وقد ظهرت بعد فشل الحملات الصليبية التي كان آخرها الحملة الثامنة بقيادة لويس التاسع الذي لفت أنظار الغرب بعد أسره في المنصورة بمصر إلى الغزو الفكري حين قال: ((لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية لأن تديُّنهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية دار الإسلام وصون الحرمات والأعراض، وأنه لابد من سبيل آخر وهو تحويل الفكر الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري)).

فكانت منعطفاً في تاريخ الاستشراق حوّلته إلى حرب العقيدة والفكر عن طريق التأليف والمؤتمرات والمجلات ووسائل النشر.

أهداف الاستشراق

الهدف الأول: هدف علمي (هدف موضوعي): أقبل نفر قليل من المستشرقين على كتب التراث الإسلامي بهدف الإطلاع على حضارات الأمم وثقافاتها ولغاتها ودراستها دراسة موضوعية وجادة رغبة في الوصول إلى الحقيقة العلمية، وقد كانوا أقل من غيرهم خطأً لأنهم فيما يظهر لم يتعمدوا التحريف والدَّسَّ، فجاءت بحوثهم أقرب إلى الصواب والموضوعية من غيرهم، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام مثل (اللورد هيدلي دانين دنينيه) وتَسَمَّى بِـ: (ناصر الدين دنينيه)، ومنهم من كان مُنصفاً في رأيه مثل (أرنست رينان) الذي أنكر ألوهية المسيح وأثنى على كتب السيرة النبوية، و(توماس كارلايل) الذي أعجب بشخصية الرسول ، وعدَّه من الأبطال.

على أن هؤلاء غالباً ما يعتمدون على مواردهم المالية الخاصة بحيث يتمكنون من البحث المجرد عن الهوى أو التأثير الخارجي.

الهدف الثاني: هدف صليبي: وتمثل فيما يأتي:

((١)) الانتصار للصليبية التي اتجهت حملاتها إلى البلاد الإسلامية ثم الاستمرار في القيام بدور الهجوم الفكري على عقيدة الأمة الإسلامية وفكرها بعد فشل هذه الحملات عسكرياً عن طريق تشويه مبادئ الإسلام وقِيَمه ومصادره وتاريخه.

((٢)) التهيئة للتبشير بالنصرانية بين المسلمين ليقوم الاستشراق بوظيفة تجهيز المنصرين، وإحاطتهم بواقع العالم الإسلامي، وعيوب المجتمعات الإسلامية، وأماكن تجمعات النصارى المقيمين في البلاد الإسلامية، ومدى تأثيرهم ومساعدتهم لدوائر التنصير بالمعلومات.

((٣)) الحاجة إلى العلوم الإسلامية تجاوباً مع الضغط الفكري الذي تتعرض له الكنيسة عن طريق النقد للنظريات والآراء الفلسفية والتاريخية التي كانت تتبناها الكنيسة وتُضفي عليها صفة القداسة؛ مما اضطرها إلى إعادة النظر في شروح الأناجيل لمحاولة تفهمها على أساس التطورات العلمية الجديدة، ولاسيما بعد حركة الإصلاح الديني التي قادها (مارتن لوثر)، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية وهذه أدَّت إلى الدراسات العربية لأن هذه الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى، ومع مرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية.

الهدف الثالث: هدف دفاعي:

حرص عليه رجال الكنيسة عن طريق الكتابة باللغات المحلية في أوروبا لتشويه صورة الإسلام ووصفه بالوحشية والعداء للشعوب الأخرى، والشدة في الأحكام حتى لا يغتر أبناء أوروبا بالحضارة الإسلامية ولاسيما في عهد ازدهار الحضارة العثمانية وامتداد فتوحاتها إلى قلب أوروبا مما كان محل إعجاب كثير من الأوروبيين وانبهارهم متنكرين بذلك للأهداف العلمية.

((٣)) الدوائر المعرفية:

ومن أشهرها: ((دائرة المعارف الإسلامية)) التي كانت تصدر بعدة لغات، وقد استنفر المستشرقون كل قواهم وسخروا كل أقلامهم من أجل إصدار هذه الموسوعة التي تعتمد على الخلط والتحريف والعداوة السافرة لفكر الإسلام.

إلى غير ذلك من المجالات؛ مثل محاولتهم الدخول في المجامع العلمية العربية كمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي دمشق، كما حاولوا التأثير على مبادئ التربية الإسلامية واستبدال المبادئ الغربيَّة بها.

وسائل الاستشراق وأنشطة المستشرقين :

آثار الاستشراق على ثقافة المسلمين :

((١)) أدَّى الاستشراق إلى إضعاف عقيدة المسلمين.

((٢)) وتشويه صورة الإسلام لدى أبنائه.

((٣)) وإشعارهم بتناقض دينهم وقصوره في مواجهة الجديد والمتطور في واقع الحياة، ومقارنة ذلك بالفكر الغربي الذي أظهره المستشرقون في صورة الفكر المتكامل والمتلائم مع الحياة العصرية.

((٤)) مما أدَّى إلى انهزام نفسية كثير من المسلمين أمام التيار الجارف من كتابات المستشرقين التي تدسُّ الفكر المنحرف، وتثير الشُّبَهَ حول الإسلام.

المُحاضَرَةُ الخامِسَةُ

التَّنصِيرُ

عناصر المحاضرة:

((١)) تعريف التنصير.

((٢)) نشأة التنصير.

((٣)) بواعث التنصير.

((٤)) وسائل التنصير.

((٥)) آثار التنصير على ثقافة المسلمين.

تعريف التنصير:

((١)) في اللغة: كلمة التنصير مأخوذة من نصَّره أي: أدخله في النصرانية، وجعله نصرانياً، ومنه قول الرسول : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه)).

وقيل: سميت بالنصرانية نسبة إلى مدينة الناصرة بفلسطين، وقد موَّه المستشرقون لمَّا سمَّوا التنصير بالتبشير لإخفاء غايتهم منه، وهي الدعوة إلى النصرانية؛ إذ تسميته بالتبشير مأخوذة من البشارة، وهي الخبر الذي يفيد السرور، ويظهر أثره الحسن على بشرة الإنسان.

((٢)) في الاصطلاح: هي الجهد المبذول بصفة فردية أو جماعية في دعوة الناس إلى النصرانية، ويطلق أيضاً على ما تقوم به المنظمات الدينية من تعليم الدين النصراني ونشره.

نشأة التنصير:

–يعود تاريخ التنصير كدعوة إلى مبتدأ دعوة المسيح إلى توحيد الله وإلى إصلاح ما أفسده بنو إسرائيل في شريعة موسى .

–قال : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

–إلا أن النصارى مع تقادم العهد بالمسيح ، وابتعادهم عن تعاليمه انحرفوا عن التوحيد، وبدلوا الشريعة التي أمروا باتباعها، وأعادوا كتابة الإنجيل بما يتوافق مع أهوائهم، ونسبوا ما ادعوه من تحريف في التوحيد وتبديل في الشريعة إلى الله زوراً وبهتاناً.

–قال : ﴿فَوَيلٌ لِّلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتَٰبَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِن عِندِ ٱللَّهِ لِيَشتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم وَوَيلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكسِبُونَ﴾.

–إلا أن دعوة المسلمين إلى النصرانية لم تعرف بالتأثير والنشاط المدعومين إلا بعد فشل الحملات الصليبية التي استمرت مئتي سنة من الحروب الدامية، تمكن النصارى خلالها من الهيمنة على بيت المقدس.

–ثم استردها المسلمون من أيديهم في معركة حطين عام (٥٨٣هـ ١١٨٨م) بقيادة القائد صلاح الدين الأيوبي.

–وما تبع هذه المعركة من هزائم شنيعة للنصارى دفعهم إلى إيقاف هذه الحملات، واتباع مسلك آخر في مواجهة المسلمين، هو الغزو الفكري.

–ويُذكر أن القسيس (فرانس) من أوائل النصارى الذين وصلوا إلى العالم الإسلامي، فقد وصل إلى مصر عام ((٦١٦هـ ١٢١٩م)).

– كما أرسل القديس (فرانسيس) عدداً من المنصرين إلى مراكش بالمغرب.

– كما قدم (ريمون لول) الراهب الأسباني عام (٦٩٣ هـ ١٢٩٤م) إلى البابا خطة لتنصير المسلمين بعد أن أتقن اللغة العربية في مدارس الأندلس بكل مشقة، وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين.

– وغيرهم من القساوسة الذين اتجهوا إلى بلدان العالم الإسلامي لتنصير أبناء المسلمين

– وبرز التنصير بعد ذلك نشاطاً للكنائس حينما أرسلت عدداً من إرسالياتها المتعددة إلى الهند وجزائر السند والشرق العربي لتنصير المسلمين.

– ففي عام (١٢٠٩هـ ١٧٩٥م) بدأ نشاط جمعية التنصير المعمدانية في بنغلاديش، وفي عام (١٢٥٨هـ ١٨٤٣م) أَسَّسَت الجمعية التنصيرية (أخوات القديس يوسف) مدرسةً للبنات بتُونُس.

–وفي عام (١٢٨٥هـ ١٨٦٨م) أُسِّسَت (جمعية الآباء البيض للسيدة العذراء) في شمال أفريقيا لتنصير المسلمين.

–وفي عام (١٣٠٩هـ ١٨٩٢م) وصل القس (صموئيل زويمر) إلى البحرين ليتخذها مركزاً للتنصير في منطقة الخليج العربي.

–وهكذا تتابعت الإرساليات وتلاحقت، وشملت بقاعاً واسعة في البلدان الإسلامية.

بواعث التنصير:

أولاً: الباعث الديني: يستند المنصِّرون في دعوتهم الناس إلى النصرانية على تفويض إلهي – بزعمهم – ورد في إنجيل (مَتَّى) بتنصير الناس ينسب إلى المسيح في قوله للحواريين: ((اذهبوا وتَلمذوا جميع الأمم، وعمِّدُوهم باسم الأب والابن وروح القدس)).

– وواقع حال التنصير أنه تحول من دعوة لإنقاذ المسلم من الضلال إلى وسيلة إفساد تعمل إلى إخراج المسلم من دينه ليكون ملحداً.

– يقول (زويمر) في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م : ((مهمة التنصير التي نَدَبَتْكُم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية؛ فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله)).

ثانياً: الحقد الصليبي: منذ انتشر الإسلام وظهر على الدين كله وأهل الكتاب يضمرون العداوة للإسلام وأهله، وزاد الأمر كراهية بعد اتساع نفوذ الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب وسيطرتها على الشام ومصر التي ينظر إليها الصليبيون على أنها تابعة لهم على أساس أنها كانت جزءاً من ممالك الدولة الرومانية، وامتدادها في عهد العثمانيين إلى شرق أوروبا وجنوبها.

وهو ما عبر عنه المنصر الألماني (بيكر) في قوله: ((إن الإسلام لما انبسط في العصور الوسطى أقام سدَّاً في وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصَولَجانِها)).

–وزاد حقد النصارى بعد ارتدادهم على أدبارهم مهزومين إثر الحروب الصليبية التي دامت قرنين، مما ولَّد في نفوسهم آلاماً صعب عليهم نسيانها ففرغوها في مخططات التنصير التي تسعى إلى تحويل المسلمين عن دينهم وَلَوْ إلى الإلحاد وتعمل على بسط النفوذ الغربي عن طريق تلاميذ التنصير والمُغْتَرِّين بحضارة الغرب، وهذا ما أبدته ألسنتهم؛ كما قال :﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.

–يقول المنصر (جون تاكلي): يجب استخدام أمضى سلاح ضد الإسلام لنقضي عليه تماماً.

–ويقول المنصر (روبرت ماكس): لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة...

ثالثاً: الباعث السياسي: حقق الغرب عن طريق التنصير نفوذاً سياسياً في العالم الإسلامي، بدأ مع الاستعمار حين اعتمدت سياسة الدول الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين، فكثيراً ما كان المنصرون يتولون مناصب سياسية وعسكرية ويتسترون بالتنصير، ويعملون على حض حكوماتهم على بث المبشرين في العالم.

– ساهم التنصير والاستشراق في تقديم النصح والمعلومات للدول الاستعمارية الغربية التي رأت في احتلال الدول الإسلامية ما يحقق أهدافها التوسعية التي تؤمن حاجتها من الأيدي العاملة للعمل في المصانع وبناء البنية التحتية، ومن المواد الخام المعدنية والزراعية التي تتطلبها مصانعها الحديثة ، ومن الأسواق لمنتجاتها الكثيرة.

ومن ثم صارت الحكومات الاستعمارية مُعِيناً للمنصِّرين في الدول الإسلامية التي خضعت لسيطرتهم عرافاناً بجميلهم، كما وجد المنصرون في هذا العون ما يحقق هدفهم وهو إعادة مملكة المسيح، كما يظهر من قول المنصرين اليسوعيين لما مارسوا نشاطهم في ظل الحكومات الاستعمارية: ((نحن ورثَةَ الصليبين رجعنا تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التنصيريِّ، ولنعيد مَملَكَة المسيح)).

–الأمر الآخر أن التنصير كان عاملاً مهماً في كسر كل دعوة إلى الوحدة الإسلامية التي يحن إليها المسلمون بعد سقوط الخلافة العثمانية.

لقد أبرز (لورنس براون) هذا الموقف في صورة واضحة حين قال: ((إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا نعمة أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)).

وسائل التنصير:

أولاً: التنصير المباشر: يقوم به فرد أو مجموعة من المبشرين المتفرغين لهذه الوظيفة ممن توظفهم الكنيسة وعّاظاً لنشر النصرانية، ويعتمد هذا النوع على الإقناع الفردي والوعظ العام في الكنائس أو الأماكن العامة لتعريف الناس بالمسيح وحياته وتعاليمه.

ثانياً: وسائل التنصير المساعدة: يُقْصَد بها التنصير عن طريق مجالي التعليم والعلاج والخدمة الاجتماعية والإعلام.

– أما وسيلة التعليم فتُعد من أنجح الوسائل لنشر النصرانية، ويتم ذلك عن طريق إنشاء مدارس للمراحل الأولى، والتي غالباً ما يدرس فيها المنهج النصراني والفكر العلماني، ويتعلم فيها أبناء علية القوم الذين يتوقع لهم التأثير في واقع مجتمعاتهم مستقبلاً، كما امتد نشاط المبشرين إلى التعليم العالي فافتتحت كليات تنصيرية.

أما العلاج فهو الوسيلة الفعالة في المجتمعات الإسلامية لإقناع الناس بحاجة المجتمع إلى المنصِّرين لاسيما في المجتمعات الفقيرة المتخلفة التي تمارس فيها التعاويذ والتمائم كوسيلتي علاج.

–ولإيجاد روح الاعتراف بالجميل والعرفان للمعاملة الطيبة التي قدمت لهم، وحقق المبشرون منها كسر حدَّة التحامل عليهم وبناء قناة اتصال بهم.

آثار التنصير على ثقافة المسلمين

((١)) إخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم في النصرانية كما حدث في تنصير بعض المناطق الإسلامية في إفريقيا وشرق آسيا.

يوضح ذلك المنصر (رايد) حيث يقول: (إنني أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح، وإن كان النصارى لم يحققوا في سبيل تحقيق هذا الهدف نجاحاً كبيراً يتناسب مع الجهد المبذول إلا أنهم نجحوا في إحداث ردة بين المسلمين وإضعاف ولاء كثير منهم لدينهم، وتلك كانت غاية أخرى للمنصرين)).

((٢)) إضعاف قوة المسلمين بإضعاف صلتهم بدينهم؛ فإن المنصرين أدركوا أن تمسك المسلمين بدينهم هو سر قوتهم.

يقول المنصر (جاردنر): ((إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا، كما أن الإسلام العائق الأول أمام تقدم انتشار النصرانية في دول العالم)).

تابعٌ:

((٣)) تفريق كلمة المسلمين والحيلولة دون وحدتهم وتخلصهم من سيطرة الغرب عليهم.

يعبر عن هذا المنصر القس (سيمون) في قوله: ((إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة الحركة؛ من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية)).

((٤)) تغريب المسلمين في بلادهم عن طريق التعليم الذي اعتنى به التنصير لإيجاد أجيال تنتمي إلى الإسلام اسماً، وتحمل فكر الغرب حقيقة، وتمارس عاداته بعيداً عن تعاليم الإسلام وأحكامه.

يقول (تاكلي): ((يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية)).